التعليم الجامعي

للدكتور طه حسين

أخص ما يعنيني من ألوان التطور التي مست التعليم منذ أعلن الاستقلال السياسي لون واحد هو مفي التعليم في السبيل الجامعية . وأريد بهذه السبيل شيئين : أحدهما يتصل بالتعليم نفسه والآخر يتصل بالعلم

وظاهر جداً ان انشاء الجامعة قد احدث في حياتنا التعليمية حدثاً عظيماً ظهرت بوادر آثاره ولكنها ستظهر قوية واضحة بعد زمن ما . وهذا الحدث هو فرض حرية الرأي على المثقفين المصريين . فقد ادخلت مناهج البحث الحر عن حقائق العلم والادب لاول مرة في التاريخ المصري الحديث وأنتجت هذه المناهج ما لم يكن بد من انتاجه من الاضطراب ، فتعرضت الجامعة لكثير من المقاومة الشعبية والحكومية ، ولكنها انتهت آخر الامر الى شيء من الفوز ان لم يكن واضحاً كل الوضوح فهو محقق وسيزداد مع الزمن

***

وليس من شك في ان الرأي العام المصري قد اقتنع الآن بان الرأي العلمي والادبي يجب ان يستمتع بحظ عظيم جداً من الحرية والذين يقاومون هذه الحرية الى الآن انما يقاومونها على استحياء وفي شيء من الحيطة والتحفظ . فمن الممكن الآن ان يقال إن المناهج الجامعية قد فازت بالاستقرار بالعقل المصري ولا بد من الانتظار لنرى نتائج هذا الفوز . فلم تكن المرحلة الاولى من حياة الجامعة الا مرحلة صراع ودفاع قد انتصرت فيها من غير شك

أما من جهة العلم ، فليس اثر الجامعة أقل خطراً . فقد ألغيت مدرسة المعلمين ، وقامت

الجامعة مقامها في اعداد المعلم وتثقيفه الثقافة العلمية والادبية ومعنى هذا ان التعليم الحر الطلق القائم على البحث الدقيق قد قام مقام التعليم المقيد الجامد المحصور بين دفتي البرامج الخاضع لتفتيش وسلطان المفتشين . وقد لا تظهر آثار هذا التطور الآن لان الذين اخرجتهم الجامعة لم يصلوا بعد الى مناصب التعليم . ولا ينتظر ان يصلوا اليها قبل زمن يقصر او يطول

ولكن هذه الآثار ستظهر جلية من غير شك يوم يتاح للجامعيين ان ينهضوا بمهمة التعليم في المدارس الثانوية. وستكون هذه الآثار خيراً كلها. وسيكون اظهرها ان المعلم الحر سينشىء تلميذاً حرًّا . وان العقل الطلق سيهيىء عقولاً طلقة

وواضح أن الفكرة الجامعية تلقى من هذه الناحية مقاومة كالتي لقيتها من الناحية الاخرى ولكن هذه المقاومة التي يشقى بها الجامعيون مقاومة ماكرة خفية يدبرها اصحابها فيحسنون التدبير دفاعاً عن انفسهم ليست لها ماكان للمقاومة الاولى من الصراحة والتصوير لطبيعة الاشياء

فالجامعيون الآن يُصدُّون عن التعليم لا لان التعليم ليس في حاجة اليهم بل لأنهم جامعيون يشفق منهم ممثلو النظام القديم على انفسهم ومكاناتهم وهذا الشقاء المؤقت الذي يحسه الجامعيون هو مظهر واضح لقوتهم الحقيقية ، واي قوة اقوى من ان تكون مخوفاً تتقى ، ويدبر لك الكيد

وهناك مقاومة اخرى شديدة الخطر على الجامعيين ، وهي تأتي من خضوع معهد التربية للنظام البيرقراطي العتيق في وزارة المعارف ، فقد انشىء هذا المعهد بعد الشاء مدرسة المعلمين ليكون ملائماً للحياة الجامعية الجديدة ولكن الخطأ الاول كان في اتباع هذا المعهد لوزارة المعارف لا للجامعة . ذلك ان القديم لا ينشىء جديداً ، وان القيود لا تنشىء حرية ، فلم يكن بد من ان يتأثر معهد التربية في نظمه وتعليمه بكل ما في وزارة المعارف من عيب

ومن حيث إن الجامعيين يقضون في هذا المعهد سنتين ، فهم معرضون فيه لبعض الشيء ولكن طبيعتهم الجامعية إلى الآن قد خرجت من هذه المحنة ظافرة ، محتفظة بجامعيتها

وانا واثق بأن التطور الذي ضمَّ الهندسة والزراعة والتجارة إلى الجامعة سينتهي حتماً بضم معهد التربية ايضاً الى الجامعة ويومئذ يتم النصر للفكرة الجامعية في التعليم ، وفي اعداد المعلمين والزمن وحده كفيل — ولكنهُ كفيل بالتحقيق لا بالظن — ان تمكن للجامعيين فيسيطروا على التعليم الثانوي . ويومئذ تستطيع مصر ان تنتظر من التعليم الجديد الخير كل الخير